أسس النقد الاجتماعي وتطبيقاته في النقد المغربي الحديث – كتاب الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه- ، عباس الجرّاري أنموذجا.

Foundations of Social Criticism and its Applications in Modern Moroccan Criticism - The Book of Moroccan Literature: Its Phenomena and Issues - Abbas Al-Jarrari by Abbas Al-Jarari as a model.

ط.د- دنيا فنور [1,*]، د- سعد مردف [2]

[1] جامعة الوادي، (الجزائر)، dounia-fennour@univ-eloued.dz

2 جامعة الوادي، (الجزائر)، saadpoeme@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/08/12 **تاريخ المراجعة**: 2021/11/08 **تاريخ النشر**: 2022/06/15

ملخص:

يعالج هذا البحث تقاربا وتوجها نقديا من التوجهات التي راجت في الممارسة النقدية الغربية والعربية عامة المغربية خاصة، وفي حقبة زمنية محدّدة، ويتعلق الأمر باتجاه النقد الاجتماعي بوصفه أحد أكثر المناهج التي جرّبها النقد المغربي، وأفرزتها ظروف وحساسيات جديدة مشيرا إلى أهمّ منظري هذا اطرح المنهجي في الساحة النقدية الغربية و كذا المغربية التي أخذت من التوجه النقدي الغربي والعربي مرجعية لقيام هذا النقد، ليصل البحث للإفصاح على معالم النقد الاجتماعي في كتاب "الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه " لعباس الجرّاري .

الكلمات المفتاحية: النقد الاجتماعي، المنهج، النقد المغربي، الأدب المغربي، عباس الجرّاري.

Abstract:

This research deals with a convergence and a critical orientation of the trends that prevailed in Western and Arab critical practice in general, Moroccan in particular, and in a specific time period, and it is related to the direction of social criticism as one of the methods most tried by Moroccan criticism, and resulted in new conditions and sensitivities, pointing to the most important theorists of this systematic approach in The Western and Moroccan monetary scene, which was taken from the Western and Arab critical orientation as a reference for the establishment of this criticism, brings the research to reveal the features of social criticism in the book "Moroccan Literature: Its Phenomena and Issues" by Abbas Al-Jarray

***Key words**: social criticism, curriculum, Moroccan criticism, Moroccan literature, Abbas Al-Jarary.*

* المؤلف المراسل.

تقديم:

تميّز النقد الأدبي الحديث في المغرب بفترات مختلفة، حيث عرفت فترة ما قبل الاستقلال بالضعف والركاكة كونه لم يخرج من دائرة النقد الموضوعي المبني على الذات والذوق، وطابعه يتسم بالطابع اللغوي الجزئي كما تأثر هذا النقد بالظروف السائدة في المغرب خاصة مما يمارسه الاستعمار الفرنسي من انشقاقات في المجتمع والسلطة وشملت هذه الأخيرة عدّة قطاعات وذلك لحصر شروط سوسيو ثقافية في المغرب، ولقد تجرع النقد الأدبي في المغرب من نفس الكأس الذي تجرّع منه النقد الجزائري حيث اجبر النقاد والأدباء على العيش في قوقعة مغلقة ومظلمة حتى انعكست هذه الظروف على القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية وهذه الأخيرة لعبت الدور البارز والأكبر في الرجوع بالنقد الأدبي لمنصة الانحطاط والضعف الذي كانت السياسة الاستعمارية هي السبب الرئيسي في ضعف الحركة النقدية وتدهور الواقع النقدي في المغرب.

لم يلبث النقد الأدبي في المغرب حتى حقّق قدرا مضاعفا من السرعة وأخذت الجهود والمحاولات النقدية المغربية مسارا مغايرا بفعل ما وجد على الساحة العالمية والمحلية، من تحولات ثقافية وتاريخية واجتماعية وكذا اقتصادية فتوّج بمرحلة أكثر نضجا وانتظاما تختلف كل الاختلاف عن المرحلة التقليدية الكلاسيكية في كونها بدأت تنظر إلى النص الأدبي وفق رؤية منهجية واضحة وشروط نقدية تحليلية تتأسّس على العوامل الخارجية والظروف السياقية المحيطة بالعمل الأدبي.

إن الانفتاح الذي سجّله النقد في المغرب بعد الاستقلال على المنجزات النقدية والأدبية العربية والغربية أسهم في تبلور إبدال نقدي وعملية الانفتاح على هذه المناهج الوافدة على بعض التجارب النقدية العربية النشيطة في بعض البلدان العربية (مصر سوريا ولبنان) التي احتضنت العديد من المحاولات المتميزة وبعض الأقلام النقدية العربية البارزة (طه حسين، محمود أمين العالم، سلامة موسى) هذه الحركة النقدية في المغرب تأخرت عن نظيرتها في المشرق العربي، خاصة وأنّ الصلة لم تقطع مع الثقافة التقليدية والتحرّر من قيودها التي وقع الأدب والنقد تحت شركها، وكذا ضعف الاحتكاك والتفاعل مع المعارك النقدية في المشرق العربي، وقلة الاستفادة من التجارب التي ظهرت هناك وخاصة في مصر، عدم مواكبة ما يستجد في الساحة النقدية العربية والعالمية (الغربية) وحتى عملية اطلاع بعض الأقلام المغربية على منجزات بعض التجارب النقدية العربية؛ **اللحظة الإحيائية** التي كانت حلقتها العشرينيات وحتى نهاية الستينات وتصدرتها كميزة أساسية معالجة النقاد المغاربة لدواوين الشعراء الصادرة حديثا في المغرب، وإعطاء قيمة كبيرة لفن القصة و الرواية.

اللحظة التنويرية في هذه الفترة انجلى الظلام وسطع النور على النقد المغربي وانتهى من المحدودية التي تزامنت معه منذ ظهوره، وعاد بخطاب نقدي يقوم على الحيز المفتوح الغير محدود والمتنوع في جانب المواضيع، حيث خرج من مجال المحدودية والانطباعية، الذي يقوم على الأذواق الشخصيّة والذوق والولوج في مجال العناية بالتحليل العلمي للنصوص الأدبية اعتمادا على مناهج نقدية جديدة خلفيتها كانت علمية بالدرجة الأولى كالمنهج الاجتماعي كانت خلفيته علم الاجتماع

اللحظة التجريبية؛ هذه اللحظة التي جاءت بإشكالات جديدة وأسئلة مستجدة غير مألوفة وبرع النقاد بكامل جهودهم الأدبية والنقدية إلى تغيير النظرة القديمة القائم النظرة البلاغيّة والصنعة البديعيّة والصور البيانيّة إلى مستوى التحليل الظاهرة البلاغية؛ لأن الخروج من هذه الانطباعات والأذواق المختلفة من شخص إلى آخر تضفي المنهجية أكثر على العمل الأدبي والنقدي والولوج في مجال القاعدة المنهجية «فلعلّ النقد الأدبي على حداثة العناية به من أهم دراساته تذوق الأدب وتاريخه و تميز عناصره وشرح أسباب جماله ورسم السبل الصالحة للقراءة والإنشاء (...) فأولئك الذين درسوا الآداب الغربية ووقفوا على ما فيها من أصول النقد وعلى هذه المذاهب والأصول على الأدب العربي»[1] أعطى النقاد الفرصة للاهتمام بالأدب خاصة من جانب تذوقه والبحث عن أصوله وجماليته وفنيّته من خلال مناهج نقديّة غربيّة حديثة، تأثروا بها حيال الاتصال المباشر والغير مباشر بالغرب والأخذ عنهم وتطبيقها على المؤلفات الأدبية والنقدية العربية.

- ما حقيقة النقد الاجتماعي؟

- ما مستوى فاعلية استيعاب النقاد المغربيين للنقد الاجتماعي في ميزان كتاباتهم النقدية؟

- ما مدى حضور النقد الاجتماعي في كتاب "الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه " لعباس الجراري؟

1- مفهوم النقد الاجتماعي La critique Social

قد لا يغيب على أذهاننا بأن الفنان هو إنسان قبل كل شيء، والإنسان لا يتربى في فراغ، بل يتربى في بيئة تلفه، وقد يتمرد على هذه البيئة ويخالف ما فيها من قيم اجتماعية وعادات وتقاليد، قد يثور على هذه الأشياء القائمة والتي لا غنى للفنان عنها لأنها فعلا موجودة وكانت سببا في ثورته وتضمّره وامتعاضه، يعد النقد الاجتماعي ذلك النقد الذي جاء وليد الدراسات النقدية التاريخية، وقد ظهر في مطلع القرن العشرين مغلفا برؤية سوسيولوجية.

تعددت تعريفات النقد الاجتماعي في النقد الحديث؛ حيث عرف المنهج الاجتماعي بأنه منهج يقارب الأدب من خلال ربطه بخلفياته الاجتماعية وهو بدوره يقوم على«دراسة المجتمعات التي تقتضي الاهتمام بماضيها وحاضرها، ومستقبلها أي بالسياقات الزمنية لهذه المجتمعات»[2]؛ من هنا نلاحظ بأن المنهج الاجتماعي يقوم على ركيزة أساسية وهي المجتمع كما انه يضعها من الأولويات التي يجب أن يهتم بها يعالجها بمقتضياتها الزّمانية والمكانية، والنقد الاجتماعي في أصوله يربط بين الأدب والمجتمع «باعتبار الأدب نشاط اجتماعي يبدعه مبدع عضو في كيان اجتماعي كبير تؤثر فيه عوامل متعددة معقدة، فالمبدع فرد ينطوي تحت لواء المجتمع ونتاجه بالضرورة نتاج اجتماعي»[3] إن كل المحاور التي يتألف منها النقد الاجتماعي، والتي يدور حولها تنطلق من كون الأدب ممثلا للحياة على المستوى الجماعي لا الفردي، باعتبار أن المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الأدبية.

2- أعلام النقد الاجتماعي في الفكر الغربي:

تعد عوامل ظهور هذا النقد في الغرب من أهم ما ساهم في شيوعه، ونذكر منها على سبيل المثال؛ شيوع الفكر الماركسي والفلسفة المادية، وانتشار الواقعية الاشتراكية مع التقدّم الذي عرفه علم الاجتماع في أوروبا.

عرف النقد الاجتماعي أوجه مع نقاد اجتماعيين غربيين أعطوه كل وقتهم وكان شغلهم الشاغل ومن ابرز النقاد الذين انبروا إلى هذا الاتجاه نجد"**مدام دوستايل" (Madame De Stael)**، التي تناولت تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب و تأثير الأدب فيها حيث قالت في هذا الطّرح: «إننا لا نستطيع فهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقا حقيقيا في معزل عن المعرفة والظروف الاجتماعيّة التي أدت إلى الإبداع»[4] الأدب في رأيها يتغير بتغيّر المجتمع ويطرد تطوره مع تزايد القدر الذي يحظى به المجتمع من الحريات الفردية والعامة ثم **كارل ماركس Karl Max (1818-1883م)**؛ الذي استطاع دعم أساسيات النظرية الاجتماعية، بتصوير نظري متين، وذلك عندما اعترف بأن الأدب يرتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع؛ أي بالواقع المجتمعي المحيط بالمبدع، ولهذا راح يبحث عن المجتمع في الأدب، حيث تأثر «بآراء هيجل وخاصة في مذهبه الجدلي (المادية الجدلية)، حيث يقوم النقد الماركسي على فلسفة اجتماعية تدرس تحولات المجتمع بدلا من وصف حالته السكونيّة»[5]، إن هذا المذهب الذي تأثر به "**كارل ماكس"**، يعتمد على أسس منها المادية الجدلية والتاريخية؛ التي تقوم بربط وسائل الإنتاج بالمجتمع، وتعتبر المجتمع الركيزة الأساسية، كما تعتمد على صراع الطبقات التي تعتبر المحرك الأساسي للتاريخ، والمجتمع في نظره تحركه بنيتين هما: بنية تحتية وبنية فوقية.

حتى **جورج لوكاتش G . Luchacs (1885م-1971م)**، هو الآخر رسم اتجاهه الماركسي على ربط التطور الأدبي بالتطور الاجتماعي، لأنه ثمّة شكل أدبي كبير يتناسب مع كل مرحلة من المراحل التاريخ الاجتماعي، وينقاد لوكاتش إلى رسم مشهد عام للمجتمعات التي تقاسمت التاريخ فيقول: «إنه منهج بسيط جدا يتكون أولا وقبل أي شيء من دراسة الأسس الاجتماعية والواقعية بعناية»[6]، يبدو أن المجتمع يجدب لوكاتش إلى الدرس أكثر من الأدب، لأنه كان فيلسوف الواقعية الأكبر في النصف الثاني من القرن العشرين وطور نظرية الانعكاس من خلال إعادة النظر في النظرية الماركسية.

لوسيان غولدمانLecien Goldman (1913م-1970م)، هو من رواد المنهج الاجتماعي، كما يعد رائد البنيوية التكوينية، التي تعتبر امتدادا لهذا النقد، حيث أصبحت دراسة الواقع تمكن الباحث من اكتشاف طموحات الإنسان وأفكاره ومشاعره في علاقته بذاته، ولقد عمل على تطبيق منهجه هذا في أطروحته "الإله الخفي 1956م"[7]، لقد تلقف العالم العربي هذا المنهج من خلال التطورات الاجتماعية والسياسية، التي تمثلت في حركات التحرر القومية، وكذا من خلال التفاعل بين الرؤيتين التاريخية والاجتماعية التي استمدتا من (سانت بيف وهيبوليت تين)، ولقد اتخذ من تلك المتغيرات مواقف من أطروحات الماركسيين التي وجدت صدا واضحا في الثقافة النقدية العربية، وفي هذا الصدد يقول طه حسين عن الأديب بأنه: «كائن اجتماعي لا يستقيم أمره إلا إذا استندت الصلة بينه و بين الناس»[8].

لقد اتجه هذا النقد (المنهج) إلى دراسة العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تتحكّم في الظاهرة الأدبية، فكان ينفذ في التاريخ الاجتماعي محاولة لشرح العمل وتفسيره وتوجيهه الوجهة الصحيحة ولقد

عرف هذا المنهج (النقد الاجتماعي) بعدّة أسماء منها: المنهج الواقعي، المنهج الماركسي، المنهج المادي التاريخي، المنهج الإيديولوجي، النقد الجماهيري،(...) كما ارتبط بعدّة مفاهيم ومصطلحات.

3- تطبيقات النقد الاجتماعي في المغرب:

قبل وصول النقد الاجتماعي للساحة النقدية المغربية كان له حظا وفيرا في الساحة النقدية العربية مع نقاد وأدباء كان لهم صرحا كبيرا في هذا الطرح النقدي ثمّ امتد النقد الاجتماعي للدخول في مداهمة للنّص بسلطة الخطاب التاريخي لكونه نقدا يكشف على الموضوعات الاجتماعيّة والسياسية وحتى الأخلاقية والثقافية ضمن مضامين النص ومن بين المناهج التي كانت تحضر في المغرب «العلوم الاجتماعيّة في الذهن أولا، فهي نبع ثري لم تصهرج فنونه بعد»[9]، وهذا النقد عرف رواجا كبيرا في المؤلفات الأدبية المغربية (النقدية والروائية) ولتحديد نسبه استهلاكه ضمن الأنواع الأدبية نجد الرواية ذات سلطة أكبر على ما تبقى من الأنواع الأخرى وذلك لأنها لعبت الدور الأكبر في التطرق لقضايا المجتمع وتسليط الضوء على ما يجري من أوضاع سياسية وأخلاقية، ومن أبرز من مثّل هدا النقد وطبّقه في المغرب نجد:

إدريس الناقوري: المصطلح المشترك في الأدب المغربي المعاصر

سعى إدريس الناقوري إلى الأخذ بأولويات النقد الاجتماعي كونه المنهج القادر على تناول الظاهرة الاجتماعية من منظور اجتماعي واقعي وكتابه المصطلح المشترك في الأدب المغربي المعاصر يعتبر نموذج من النماذج النقدية المغربية التي وقعت تحت سيطرة المنهج الاجتماعي في الدرس والمعالجة حتى أنّه انطوى على (الشعر والقصة والرواية)، وعالج هذا الطرح من خلال المنهج الاجتماعي وكان الهدف منه «إلى الربط الآلي بين الروايات ومبدعيها مفسرا مضامين تلك الروايات بانتماءات المبدعين الاجتماعية»[10]

يرتبط الأدب بالنقد الاجتماعي بطريقة ترابط أعضاء الجسد مع بعضها البعض، حتى أنّه لا يمكن فصلهما عن بعض خاصة وأن كل واحد يؤثر ويتأثر بما يجري من أحداث ووقائع، وأغلب الدراسات التي خضعت للنقد الاجتماعي تعرضت لقضايا المجتمع من كل جوانبها ولكن الرواية تصدرت رأس الهرم، خاصة من خلال هذا النقد «و قد كان المؤلف واعيا بأنّه بقي مشدودا إلى هذا النوع من النقد خاصة وأنّ استفادته من (غولدمان ولوكاتش) ذهبت به إلى تبني المرجعية الغربية وتطبيقها على المؤلفات المغربية»[11] ويظهر هذا المنهج جلياً عند حديثه عن "كتّاب الأقصوصة القصيرة" في نفس الكتاب حيث قال: «وكتّاب الأقصوصة الذين ينتمون في معظمهم إلى البرجوازية الصغيرة، الطبقة التي تعاني حاليا من تمزق الذات وهو الاستغلال بشتى أصنافه وتجلياته، نتيجة لموقفها الوسط في علاقات الإنتاج والخصوصية التاريخية التي يتفرد بها واقعنا الاجتماعي، خير من يعبّر عن هذه الإشكالية، فهم (عمالا غير منتجين) ويملكون مع ذلك امتيازا طبقيا يعكسون أزمة انتمائهم المادي، تأسيسا على هذا أن تأتي رؤاهم الفكرية تعبيرا عن مأساتهم الاجتماعية كأفراد، وتطبقه مقهورة تعاني الأمرين من جراء الضياع الطبقي الدموي، لهذا كانت الرؤية المأساوية هي الخيط الخفي الذي ينظم كتابات هؤلاء المثقفين.»[12] من خلال هذا يتضح لنا بأن القصة المغربية تناولت قضايا المجتمع المغربي من قبل الاستقلال

حتى فترة بعد الاحتلال، والالتزام كان موازيا لهذا النقد و إدريس الناقوري ربط القصة المغربيّة بواقعها الاجتماعي و ظروفها الواقعيّة.

نجيب العوفي: (درجة الوعي في الكتابة)

أخد نجيب العوفي بالنقد الاجتماعي ضمن كتابه درجة الوعي في الكتابة؛ حيث تناول حياله أنواع أدبية من شعر رواية وقصة ونقد النقد(...)، وكتابه هذا أبرز مثال على إتباع خطى النقد الاجتماعي ولقد أقرّ ذلك في مقدمة الكتاب بأن المنهج الذي اتّبعه العوفي في هذا الكتاب هو المنهج الواقعي الجدلي، وأعطى إثباتا على إقراره بواسطة قول له :«إن المنهج المكرّس في هذا الكتاب هو المنهج الواقعي الجدلي.»[13] لقد أكد على هذا المنهج لقدرته على احتواء النص والواقع المعاش معا، بالإضافة إلى قدرته على التجديد في كافة الخبرات والتجارب الفكرية وذلك دون أن يفقد فاعليته، ولكن استخدام هذا المنهج لم يكن بالمنهج القائم بذاته ضمن الكتاب ويقول: «باستحالة وجود منهج برئ ومنغلق على نفسه، محصن ضد عدوى المناهج الأخرى ولقناعتي بوجود تفاعل صحي بين مختلف المناهج من غير أن يؤدي هذا التفاعل بالضرورة إلى فقدان الهوية.»[14] يبقى المنهج الواقعي مبثوث في ثنايا الكتاب مع مناهج نقدية أخرى ثانوية ولكن هذه المناهج لم تأثر على المنهج الأصلي.

4- النقد الاجتماعي في كتاب "الأدب المغربي ظواهره وقضاياه" عبّاس الجرّاري:

لا تتمّ حياة أي أمة من الأمم إلا عبر الاعتزاز بتراثها والاستنارة به، والتّطلع إلى مستقبل مؤسس على ماضي متكيّف مع واقع معاش، ولهذا وجب على كل فرد أن يدرك قيمة إرث بلده ويحاول أن يجد كل وسيلة للاحتفاظ به ولكون الأديب والناقد في دائرة واحدة لا يمكنهما إهمال مجتمعاتهم و تاريخهم ضمن أعمالهم، ولقد طرق"الجراري" باب النقد الاجتماعي ضمن كتابه هذا، خاصة من جانب الاعتزاز بأصله العربي و نسبه المغربي والبحث في واقع وإنسانية المجتمع المغربي خاصة والعربي عامة.

لقد أثار الجراري عدّة قضايا في حديثه عن مواضيع اجتماعية معاشة وأهمها، القبائل المغربية التي درس فيها الشق الاجتماعي من خلال توادهم وتمسكهم بعضهم البعض، قال عنهم : «التحام عند من القبائل الكبيرة، وأهمها المتانة وجدالة وجزولة (...) وهو التحام لم يلبث بدوره إلى أن تحول سند شعبي ثم لم يلبث بدوره إلى أن تحول إلى سند عسكري، لم يلبث في النهاية أن تحول إلى قوة» [15] كانت هذه المرحلة ذات رهان اجتماعي يقوم على تحديد المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية في وضعية متكاملة، أخد أيضا من موضوع المولد النبوي في الأدب المغربي متطرقا إليه «كظاهرة أدبية تتسم ملامحها بالغنى والطرافة وتكشف أبعادها عن رباط عضوي وثيق يلاحم بين الإبداع الفني و الضمير الديني وانصهار بين الذاتية والفردية لأدبائنا والذات الجماعية لجماهير شعبنا خلال التاريخ »[16] يبقي المجتمع المغربي في نظر الحرّاري صاحب الصورة المثلى الذي يتوق الأديب أو الناقد إلى دراسته بمظاهره وعاداته وتقاليده ومقوماته.

وللحديث عن المقومات التي يقوم عليها المجتمع تناول الجرّاري في الجزء الخاص (بالنهضة الأدبية) رؤية اجتماعية تدور حول (الوحدة الوطنية، اللغة، التعليم) وما يهمنا من هذا كلّه هو أنّ هذه المقومات لها ارتباط

وثيق بالمجتمع فأخذ منها لمحات خاصة في تصوير قضايا مجتمعه حين لا يمكنه أن ينفرد عنه مهما كان، وما يزيد الأمر تفصيلا ووضوحا هو التصاق الناقد بمجتمعه والانتباه لقضاياه .

وقد أنشد **المكي الناصر** في أبياته عن **وطنه** :

فُؤَادِي إِلَى وَطَنِي وَقَدْ صَبَا تَعْشَقْتُهُ مُنْذُ طَوْرِ الصِبَا.

وَدِينُهُ فِي حُبِهِ رُغْبًا فِيا وَطَنِي عَنْكِ لَنْ أَرْغَبَا.[17]

وقال **محمد المقري** عن **اللغة العربية** :

رُوَيْدَكَ قَدْ طُبِعْتَ عَلَى أَنَاة وَظُلْمَ مَا تُلَاقِي مِنْ أَدَاةً.[18]

وعن **التعليم** جاءت قصيدة **محمد المهدي الحجوي:**

إِلَى مَنْ نَتْرُكُ التّعْلِيمَ مَهْجُورًا وَنَحْسَبُ العِلْمَ فِي الإِفْرَنْجِ مَحْصُورًا.[19]

تعدّ (اللغة والتعليم والوطن) بمثابة الأسس التي ينطلق منها كل مجتمع، فالعلاقة بينهم هي علاقة تأثير وتأثر كما هي علاقة تكامل بالأساس فلا مجتمع من دون وطن ودون وحدة وتعليم، هذا الأخير الذي يفتح أمامه أفق الارتقاء، وما يوحي لنا اعتماد الجراري لمقتضيات النقد الاجتماعي هو دراسة شعر وشعراء المغرب وكذا المشرق، من جانب الرؤية الاجتماعية في مرحلة النهضة وجاء حديثه عن الشاعر (مصطفى العداوي) وديوانه الذي يكاد يكون شعر نضال من أجل الحرية والكرامة في محاولة لتوسيع آفاق هذه الرؤيا ليعانق قضايا الإنسان العربي و الإفريقي، ونحسّ بالشاعر صادق التجربة والمعايشة والمعاناة.

تبقى نظرة الالتزام هي المسيطرة في الفصل الأخير من الكتاب خاصة من خلال إثباته لصدق تجربة الشعراء وإحساسه بهم، ويلمّح الناقد للشاعر "**الحبيب الفرقاني**" صاحب ديوان **(نجوم في يدي)** الذي «يكشف شعره عن الدعوة إلى الالتزام والالتحام مع المجتمع، في إطار رومانسي، منه يستقي صورة الشعرية ويستوحيها، وأن نحاول داخل هذا الإطار أن يتعدى ذاتيته الفردية إلى الذاتية الجماعية»[20] لاشكّ أنّ الشعر وليد لما تفرزه حياة المجتمعات من الظواهر في مسيرتها الطويلة وذلك يعني أنّ الشعر يستأصل لأن حياة المجتمع لن تبقى راكدة على حال، وإنما هي في تجدّد مستمر، ومن جانب آخر نجد أنّ أي مجموعة شعبية لها ثقافتها التي تميّزها عن باقي المجموعات، ولها عاداتها وتقاليدها ولكل منها تاريخها الذي تستمد منه ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

ومن شعره ما تناول المشاكل الاجتماعية (ماسح الأحذية):

أَحْنُـو عَلَى الأَقْدَامِ******أَمْسَحُهَا وَتَمْسَحُنِي الصُدُوعِ.

صَدْرِي يَكَادُ مِنَ الأَبَا******يَهْـــوَى وَيَنْفَجِرُ الضُلُـوعَ .[21]

نظرة الجراري لما جاء به "**الفرقاني**" هنا تبقى نظرة اجتماعية لا تخرج عن الواقعية خاصة في تلك المرحلة الاستعمارية التي كانت لابد للكاتب أو الناقد التعبير عن إيديولوجية مجتمعه من خلال أعماله، ولقد تكلم "الفرقاني" بلسان (ماسح الأحذية) وهو هنا يقترب من النظرة الديكتاتورية، والجراري تطرق إلى هذا ليس كتابة على الورق فقط بل التزاما منه أيضا، حيث كانت دعوته واضحة إلى أدب اجتماعي صرف باعتباره الأصلح والأنجع في تلك المرحلة التي عرفت إفرازات سياسية واقتصادية وثقافية، وقال«لا ينبغي أن ننسى أننا نعيش فترة يعاني فيها شبابنا من الاضطراب الفكري والنفسي ما يجعلهم في شعرهم يبدون وكأنهم يبحثون عن دواتهم الضائعة في خضم مجتمع لا يواجهون واقعه بغير الانطوائية والرفض »[22] الانطواء على الذات ليست من مميزات الناقد الاجتماعي، بل ميزته هي الانتباه لما يحدث ويعاني منه مجتمعه ومشاركة متطلبات العصر مع أفراد مجتمعه، حمل الناقد ضمن كتابه رسالة الالتزام على عاتقه خاصة وأنه عبر عن ما يعاني منه الشباب المغربي في تلك الفترة كما أنه يتصل بهم اتصالا مباشرا ويقوم بدور قيادي في وصفه للحالة الاجتماعية لدى هؤلاء الشباب.

وتناول الشعر من طرف الجرّاري له ارتباط وثيق بالمجتمع، ولمحات خاصة في تصوير قضايا مجتمعه حين لا يمكنه أن ينفرد عنه مهما كان، فالناقد أو الشاعر كلما كان في مرتبة أعلى كلما زاد انتماؤه إلى المجتمع والوسط الذي ولد فيه، وما يزيد الأمر تفصيلا ووضوحا هو التصاق الناقد أو الأديب الشاعر بمجتمعه وتعبيره عنه، والجراري انحاز إلى مصطلح الالتزام وقال عنه: «الالتزام بمعنى اعتناق الأديب شاعرا كان أم كاتبا لموضوعات وطنية أو إنسانية أو مذهبية.»[23] النقد الاجتماعي يتطلب دراسة الأدب وتمثيله للحياة الاجتماعية وليس للحياة الذاتية الفردية ولهذا على الأديب اعتناق قبل كل شيء قضايا مجتمعه، ولقد برزت نظرة الجراري للأدب المغربي وما يحيط به من قضايا ومشاكل بوضوح تام وطرح السؤال ماذا عن أدبنا؟

«والواقع أنه على الرغم من الرؤيا التشاؤمية التي ينظر بها البعض، فإن لدينا أدب ثابت الوجود(...) ويتبين لهم التجاوب التلقائي مع أنفسهم والآخرين في موقف يتم عن صدق التجربة والالتحام مع قضايا الذات والمجتمع.»[24] على الأديب أن يكون صاحب مسؤولية اتجاه مجتمعه، لأن الأدب هو أكثر الفنون تعبيرا عن مشاعر وأحاسيس أفراد المجتمع، فقد أخده العرب منذ القدم لتسجيل بطولاتهم ومسيراتهم الاجتماعية والقلم المعبر عن آلامهم وآمالهم، وهذا يبدو أكثر وضوحا في قول الجراري: «وأقول هنا ما كررته غير ما مرة من أننا في حاجة إلى أدب يكون له دور قيادي في الجماهير ويعرف كيف يخاطبها لتفهمه»[25] الأديب يسعى دائما إلى تصوير الحياة التي يحياها أفراد مجتمعه فيتأثر بها ويحاول نقل تجاربها ومعاناتها حتى يتمكن أفراد المجتمع من فهم مقاصده، «ولكن لابد من رؤية مجتمعية جماعية ولابد كذلك من تجارب تكون واضحة الآفاق مميزة الملامح، ثم لابد من عناصر فنية أخرى تنتج عن هذه التجارب وتلك الرؤيا لكي يكون للأدب دوره، أي لكي يكون في خدمة قضايا الإنسان المغربي، وهذا يستدعي تجاوز النظر الفردي المحدود إلى النظر الشامل المتكامل»[26].

الأدب بأنواعه الفنية من قصة ورواية ومسرحية يأخذ من آلام وآمال الأفراد والمجتمع قوالب فنية حيث يظهر في هذه القوالب واقع الحياة التي يعيشها ذلك المجتمع من تجارب نفسية واجتماعية وسياسية، ولابد من انصهار ذاتيته الفردية وعواطفه وأحاسيسه في ذاتية الجماعة، ويكون أدبه في خدمة مجتمعه وموجه له حتى

يشارك مجتمعه في القضية التي شغل تفكيرهم، وتبقى الأنواع الفنية أغلبها تناولت قضية المجتمع في مضمونها، تطرق الجراري بخدمة المسرح المغربي للمجتمع وقال: «ولم يلبث المسرح المغربي في أعقاب هذه المحاولات الرائدة أن أدخل في مسيرة مليئة بالتجارب، بحثا عن مسرح مغربي متطور قادر على التعبير عن الجماهير وقادر على مخاطبتها كذلك.»[27] يبقى الاقتناع ضروري من طرف الأديب أو الشاعر أو الكاتب بأنه لابد من الاستجابة لمطالب مجتمعه سواء كان مطلبا سياسيا أو فرديا أو اجتماعيا، فالفلاح مسؤول عن أرضه، وكذلك الطبيب وفيّ لمهنته ومرضاه ولهذا رسم ملامح الحياة الاجتماعية وتصويرها بأسرارها وملابساتها، والمسرح بدوره حمل على عاتقه معالجة عدّة قضايا اجتماعية كالظلم والفقر والاضطهاد الاستعماري، حتى أنه مال إلى الواقعية أكثر من الطاقة التخيلية حتى «الحركة المسرحية في سنوات الستين أن تطلعت إلى مسرح شعبي يلحّ على المضمون الاجتماعي السياسي ويبحث عن الشكل الذي يكون قادرا على احتواء المضمون»[28] حاولت الحركة المسرحية في هذه الفترة أن يكون منطلقها تصوير الواقع وفكّ لغز الحياة الاجتماعية وأحداثها، كما حاولت أن تكون صادرة عن الواقع الحي باتجاهاته و صوّره.

خاتمة

وفي الأخير وبعد تمّ استهلاك الرؤية النقدية التي تناولناها نستخلص جملة من النتائج والخلاصات المعرفيّة ونستوفي منها مايلي :

تمثلت الإرهاصات الأولى للنقد الاجتماعي، في الساحة النقدية الغربية مع الثورة الفرنسية.

للمنهج مداخلات ومخارجات وكذا وسائل وطرائق وكذا وسائل وطرائق يمكن للناقد الانطلاق منها للاختار الفرضيات في تحقيق الأهداف المرجوة.

استقبل العرب النقد الاجتماعي وقاموا باستثماره في العديد من الدراسات، وأهمّ النقاد الاجتماعيين العرب (محمود آمين العالم، سلامة موسى، طه حسين...).

النقد الاجتماعي هو دراسة الأدب من خلال المجتمع، فهو يدرس العلاقة التي تربطهما، بتحليل الحياة الاجتماعية وتقديمها في صورة الأدب.

دخل النقد الاجتماعي للساحة النقدية المغربية عبر مرجعيات غربية وعربية (التنقل والدراسة والتجارة والحروب) حيث حظيت المغرب بتاريخ توالت فيه الحملات الاستعماري كخليفتها الجزائر والتي شيدت للدرس النقدي الفرنسي في البلاد المغربية.

أقام عباس الجرّاري كتابه "الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه" وفق قضايا عديدة دينية قومية وكذا اجتماعية، فقد كان كتابه عبارة عن رسالة نقدية يلمس فيها ما هو اجتماعي.

هوامش وإحالات المقال

[1]- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري، ص561.

[2]- مرشد الزبيدي: اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق (دراسة الجهود النقدية المنشورة في الصحافة العراقية بين 1958م،1990م)، منشورات اتحاد كتاب العرب، (دط)، دمشق،2000م، ص29.

[3]: السعافين إبراهيم الشيخ خليل :مناهج النقد الأدبي الحديث،الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات،ط1،القاهرة،2010م،ص94.

[4]:إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث (من المحاكاة' إلى التفكيك)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط،1، 2003، ص67.

[5]:طالب ليف السلطاني:النقد الأدبي الحديث، دار الرضوان للنشر والتوزيع، (د ط)، عمان، (دس)، ص62.

[6]-انريك امبرت اندرسون: مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة الأدب للنشر والتوزيع،(د ط)، القاهرة، 1999م ص123.

[7]- ينظر:المرجع نفسه، ص123 .

[8]-مرجع سابق:جابر عصفور، المرايا المتجاورة (دراسة في نقد طه حسين)،الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د ط)، (دب)،1983م ، ص82.

[9]:مرجع سابق، أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث و أصوله واتجاهاته، ص67.

[10]: حميد الحميداني: الرواية المغربيّة ورؤية الواقع الاجتماعي،دراسة بنيوية تكوينيّة النقد الاجتماعي المغربي،ص33.

[11]:المرجع نفسه ، ص33.

[12]:إدريس الناقوري: المصطلح المشترك، دار النشر المغربية،الدار البيضاء ،المغرب،ط3،1977م، ص143.

[13]:نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة،دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (دط)،1980م، ص29.

[14]: المرجع نفسه، ص30.

[15]:عباس الجراري، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ص80.

[16]: المرجع نفسه، ص141

[17]: عباس الجراري، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، ص104.

[18]: المرجع نفسه، ص105.

[19]: المرجع نفسه، ص105.

[20]: (ينظر)المرجع نفسه، ص217.

[21]:المرجع نفسه، ص218.

[22]:المرجع السابق، عباس الجراري الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ص219.

[23]:المرجع نفسه، ص216

[24]: المرجع نفسه، ص230

[25]: المرجع نفسه، ص231

[26]:المرجع نفسه، ص231

[27]:المرجع نفسه، ص241-242

[28]: المرجع السابق، ص252

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1- عباس الجراري، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، الجزء الأول، منشورات مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الثانية، (د س).

المراجع:

1- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث (من المحاكاة' إلى التفكيك)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط،1، 2003.

2- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري.

3- أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث وأصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
4- إدريس الناقوري: المصطلح المشترك، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب،ط3،1977م.
5- انريك امبرت اندرسون: مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة الأدب للنشر والتوزيع،(د ط)، القاهرة، 1999م .
6- جابر عصفور، المرايا المتجاورة (دراسة في نقد طه حسين)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، (دب)، 1983م.
7- حميد الحميداني: الرواية المغربيّة ورؤية الواقع الاجتماعي،دراسة بنيوية تكوينيّة النقد الاجتماعي المغربي.
8- السعافين إبراهيم الشيخ خليل :مناهج النقد الأدبي الحديث،الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات،ط1،القاهرة،2010م.
9- طالب ليف السلطاني:النقد الأدبي الحديث، دار الرضوان للنشر والتوزيع، (د ط)، عمان، (دس).
10- مرشد الزبيدي: اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق (دراسة الجهود النقدية المنشورة في الصحافة العراقية بين 1958م،1990م)، منشورات اتحاد كتاب العرب، (دط)، دمشق،2000م.
11- نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة،دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (دط)،1980م.